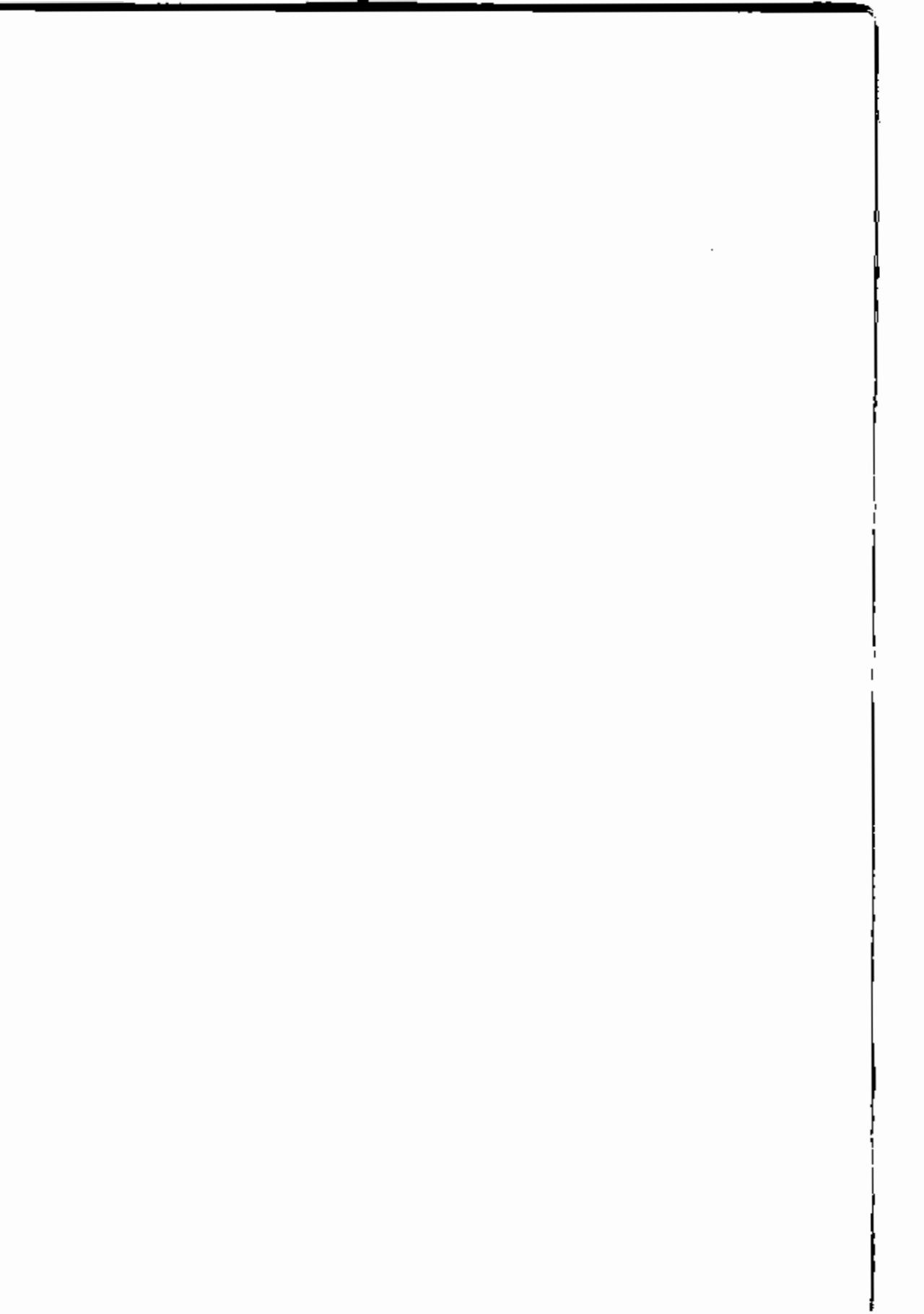




معاملة الفاتحين المسلمين لأقباط مصر

د. راوية عبد الحميد حسانين شافع
مدرس التاريخ الإسلامي ، والمحاضرة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة حلوان



المقدمة:-

أربعة عشر قرناً مضت على دخول الإسلام إلى مصر، مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن مصر بتراتها الفريدة قادرة على احتضان المسيحية والإسلام جنباً إلى جنب إلى أن يشاء الله.

وقد كان للأقباط منذ اللحظة الأولى لدخول الإسلام إلى مصر مواقف تحسب لهم في مساندة الفاتحين الجدد، كما كان الفاتحون الجدد كعلاقتهم في كل فتوحاتهم الإسلامية شرقاً وغرباً مواقف مساندة للمغلوبين من أهل البلاد لوافدين عليهم. حيث كان المسلمون الأوائل دعاة بناء لا هم، دعاة عيش لا عبودية، وكان طبيعياً أن يتأثروا ويؤثروا في الشعوب التي يمتزجون بها دون إذلال. فلم يؤثر عن المسلمين الأوائل في أثناء فتوحاتهم أن تعرضوا لشيخ مسن لو امرأة أو طفل، كما نقرأ لو نسمع على مدار التاريخ الإنساني كله.

ومن هذا المنطلق أردت أن أوضح وأبرز الدور التاريخي للفاتحين المسلمين تجاه أقباط مصر إبان عملية الفتح الإسلامي، ولأردت أن أوضح سياسة التسامح الذي حظى به أقباط مصر على كافة الأصعدة، سواء الصعيد الديني أو الاجتماعي أو السياسي.

والحقيقة التاريخية لوضحت أيضاً المغالاة التي حدثت من بعض لولاة في أعقاب الفتح الإسلامي وموقف نصارى مصر من تلك الأخطاء التي اعتبرها استثناء وليس قاعدة، حيث أن القاعدة كانت دائماً لدى الفاتحين المسلمين هي حسن معاملة المغلوبين من أهل البلاد المفتوحة وليس في فتح مصر فقط.

والحقيقة أيضاً لا أدعي السبق في الكتابة في مثل هذا الموضوع فقد تناوله كثيرون ممن أروا لتلك الحقبة التاريخية للفتح الإسلامي لمصر.

بيد أن الجديد هنا هو التركيز على معاملة الفاتحين المسلمين لأقباط مصر، في أعقاب الفتح مباشرة وكيف تلقى المصريون الأقباط الفاتحون المسلمون، وكيف كانت طبيعة العلاقات بين المنصرين، وذلك في ضوء ما

لمنتا به المراجع والمصادر الموثوق فيها وبخاصة المصادر القريبة إلى حد ما من تلك الأحداث التاريخية.

فالتنصوص التاريخية تركز على عملية الاختلاط والامتزاج التي حدثت بين العنصرين مما أحدث معه تغيراً كبيراً في طبيعة العلاقات بين عنصرى الأمة في مصر. وقبل أن نستطرد في شرح طبيعة تلك العلاقات ونبرز كيف حدث هذا التغير وبخاصة في حياة أقباط مصر كان لابد من إبراز حالة أقباط مصر قبل الفتح الإسلامي أي أحوالهم تحت حكم الرومان.

أحوال أقباط مصر قبل الفتح الإسلامي:

كانت العقليّة المصرية بطبيعتها مهياً لتقبل الدين المسيحي الذي بدأ ينتشر في مصر بسرعة شديدة بالقياس بالأقطار الأخرى، ولزاد هذا الانتشار بصورة كبيرة في مدينة الإسكندرية التي أصبح لها كنيسة خاصة بها، ويعزو الأستاذ الدكتور/ عزيز سوريال عطية هذا الانتشار السريع للدين المسيحي بمصر باستعداد العقليّة المصرية لتقبله منذ أن أعلن إخناتون التوحيد، وكانت أول دعوة توحيد في التاريخ الإنساني^١ وقد أثار انتشار المسيحية مخاوف الرومان واعتبرت السلطات الرومانية المسيحيين عنصراً خطيراً في المجتمع، فعمدوا إلى اضطهاد دعاة المسيحية ومعتققيها منذ النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي وعلى الأخص في عهد سبتيموس سيفيروس، وبلغ هذا الاضطهاد ذروته في عهد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) Diocletianuse الذي اصطلحت رغبته في توحيد النظام الإداري في الإمبراطورية الرومانية عن طريق العقائد الوثنية التي رفض المسيحيون المشاركة فيها^٢.

وفي عهد دقلديانوس اشتعلت نيران الفتنة في الإسكندرية ضده^٣ فأضطر إلى التوجه إليها، وحاصرها مدة ثمانية أشهر حتى سقطت فتخرب كثير من أبنيتها، وأنت بعد ذلك فترة ازداد فيها اضطهاد الأباطرة لكنيسة الإسكندرية، إلا أن هذا الاضطهاد لم يثن المصريين عن اعتناق الدين المسيحي،

فانتشر انتشاراً تجاوز كل تقدير في الحسبان^١ ونتيجة لما لاقاه المسيحيون من اضطهاد في عصر نقلديتوس، اتحدت الكنيسة القبطية بمصر تقويماً جديداً عُرف بتقويم الشهداء وذلك في سنة ٢٨٤م، وهي السنة التي اعتلى فيها نقلديتوس عرش الإمبراطورية الرومانية^٢. ثم كان اعتراف الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٢٣-٣٣٧م) بهذا الدين رسمياً في سنة ٣١٣م، وما لبث الإمبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩-٣٩٥م) أن اعتنق المسيحية وفرضها قسراً على رعايا الإمبراطورية وفي عهده قلم البطريرك يثوقيلوس بهدم المعابد الوثنية في الإسكندرية وتمجيرها في سنة ٣٨٩م، تهدم معبد سيرابيس بالقرب من كاتوب شرقي الإسكندرية^٣ وقد كان لاتنصر المسيحية الأرثوذكسية السكندرية على الوثنية لُز كبير في ارتفاع مكانة هذه المدينة من الوجهة الروحية، ولم تقبل بيزنطة هذا الوضع، وهنا نشأ نزاع مذهبي كبير بين بيزنطة والإسكندرية من أجل الزعامة الدينية^٤ على أن المسيحيين ما كانوا يتخلصون من الاختلافات الدينية حتى وقعوا في الاختلافات المذهبية، ونشأ عن ذلك ما يعرف بالمذهب الأرثوذكسي والمذهب الكاثوليكي وغيرهما من المذاهب، وقد كان هذا الاختلاف سبباً في انتشار البؤس والشقاء بين المصريين الأقباط^٥.

وهنا أعلن المصريون الاثتقاق والعصبان وتحول النزاع بينهم وبين البيزنطيين إلى تحد مجيد من جانب المصريين وسعوا بالأرثوذكسين - ومعناها أصحاب الدين الصحيح - وهنا أمن الأباطرة عن سياستهم التصفية، ضد المصريين، الذين قاموا بدورهم بنقل الحركة إلى خارج مدينة الإسكندرية، وكان من أكبر زعماء تلك الحركة المعارضة الأتبا شنودة والبطريرك بنيامين، ولقد كان لإسراف البيزنطيين في اضطهاد المصريين لُز كبير في معاداة المصريين لهم وفي تهديد السبيل لفتح مصر^٦ وهنا قام الإمبراطور هرقل ٦١٠م بإرسال حاكماً على مصر وهو قيرس^٧ في سنة ٦٣٤م - ١٢هـ كي يعمل على استمالة المصريين إلى مذهب المونوثيلية - وهو مذهب جديد يحاول التوفيق بين

كنيسة القسطنطينية والإسكندرية وتسيره أن للمسيح طبيعتين، ولكن له إرادة واحدة^{١١}.

بيد أن المصريين تمسكوا بمذهبهم الذي ينادى بالطبيعة الواحدة للمسيح المسيح عليه السلام، فلجأ قيرس معهم إلى سياسة الشدة والتعسف ولخذ يضطهد الأقباط اضطهاداً لم يشهد له المصريون نظيراً من قبل، وأمام هذا الاضطهاد الرهيب اضطر البطريرك القبطي بنيامين إلى الفرار من الإسكندرية من بابها الغربي إلى الصحراء ولاذ في نهاية الأمر بدير صغير لا يبعد كثيراً عن مدينة قرص^{١٢}. وحذا حذو بنيامين عدد كبير من المصريين، فروا إلى أديرة وادي النطرون مثل دير البراموس، ودير أنبا بشواي، ودير أبي مقار، وهجر كثير من الفلاحين مزارعهم وأراهم، مما أدى إلى انتشار الفوضى في البلاد واضطراب جميع مراقبها، وتعرض من بقى من الأقباط في ديارهم لصنوف العذاب والتنكيل وعلى مثل هذه الحالة السينة من الفوضى والاضطهاد لقي العرب أهل هذه البلاد عند افتتاحهم لها^{١٣}.

هذا علاوة على أن التقلل والنزاعات والصراع بين الحكام البيزنطيين أنفسهم في عاصمتهم القسطنطينية حول ولاية العرش مهدت الطريق أمام العرب لسهولة فتح مصر. ففي سنة ٦٠٢ م - سقط الإمبراطور "مورس" سريعاً إثر ثورة قام بها الجيش ضده بزعامة "فوكاس" الذي اعتلى العرش، بيد أنه كان مولعاً بسفك الدماء، فسخط عليه أقرب الأكربيين له، وأعلن هرقل بطريق قرطاجنة وحاكم أفريقية الثورة عليه، وأعد لهذه المهمة جيش بقيادة ابنه الشاب هرقل للاستيلاء على العاصمة القسطنطينية، وتمكن هرقل الشاب من قتل فوكاس في ٥ أكتوبر سنة ٦١٠ هـ وانتهى الأمر باعلائنه عرش الدولة البيزنطية في نفس العام^{١٤}. والذي أرسل قيرس حاكماً على مصر وفي عهده تم اضطهاد أقباط مصر كما سبق وأسلمنا.

والحقيقة من خلال ما ذكرناه نرى أن أقباط مصر قد رزحوا طويلا تحت حكم الرومان، لذكر الأستاذ ملن Milne: "لن مصر أصبحت مخزنا بمد روما بالغلل، ونتج عن ذلك تحطاط مستوى العلوم والمعرفة، وأصبح المصريون لا يتولون المناصب العالية، علاوة على زيادة الضرائب زيادة كبيرة، حتى أصبحت تجبي الضرائب عن الأشخاص والأشياء فشملت الضرائب على ضرائب الرزوس والصناعات، والماشية، والأراضي، والجدير بالذكر هنا جباية الضرائب على الرجال والنساء على حد سواء - عكس الجزية في العهد الإسلامي التي كانت تجبي على الرجال والقلدين منهم فقط ويغنى منها النساء والشيوخ والأطفال - وكانت الضرائب تجبي أيضا من التجار، والصناع وزوجات الجنود وحتى لثالث المنازل، بل كانت تجبي ضرائب على الموتى، حيث كان لا يسمح بدفن الميت إلا بعد تحصيل الضريبة"^{١٥}. ومن هنا أصبح أقباط مصر يتطلعون إلى من يخلصهم من الحكم الروماني، ويرفع عنهم المظالم التي وقعت عليهم، ومن هنا كان ترحابهم بالعرب لما سمعوه من نصارى الشام تحت الحكم العربي الإسلامي من حسن سيرتهم ومعاملتهم الحسنة لأهل البلاد التي فتحوها. ولذا نرى أن الطريق كان ممهدا والأحوال الداخلية في مصر مهيأة لاستقبال العرب بل ومساكنتهم، فقد كان لإسراف البيزنطيين في اضطهاد المصريين أعظم الأثر في معاداة المصريين لهم مما مهد السبيل للفتح العربي لمصر"^{١٦}.

والجدير بالذكر هنا قبل أن نختم هذه النقطة أن المسيحية منذ دخولها مصر وانتشرها اتخذت شخصية وطابع خاص اختلف عن المسيحية الغربية، إذ أن التعذيب والاضطهاد الذي تعرض له المصريون المسيحيون، كان سببا في إيجاد نظام جديد مصري خالص عرف بنظام الرهينة الفردي أو الديري، وهو نظام ظهر في مصر قبل أي مكان آخر، حيث كان المصريون يهربون بعقبتهم المسيحية إلى الصحاري، هربا من الاضطهاد، ثم أصبحت الرهينة المثل الأعلى

للمسيحية المصرية، وينسب المؤرخون إلى الألبا أنطون (أنطونيوس الكبير) المصري، أنه أول من بنى الديرات وجمع الرهبان بمصر^{١٧}.

علاقة العرب بالمصريين قبل الفتح الإسلامي :

لا شك أن العرب كانوا يستثمرون صلة الرحم التي تربطهم بأهل مصر وتتمثل في أمومة هاجر المصرية أم سيننا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام^{١٨}، كما كانوا يستثمرون خنولة المصريين لإبراهيم ابن النبي ﷺ من السيدة مارية القبطية^{١٩} ولعل ذلك كان السبب الذي حمل رسول الله ﷺ على أن يوصى بقبط مصر خيراً، ويأتى المؤرخ ابن عبد الحكم بأحاديث متعددة استوصى فيها رسول الله ﷺ قومه خيراً بقبط مصر وأنه قال: "استوصوا بالألم الجعد" فسأله القوم: عن الألم الجعد، فقال: قبط مصر فإنهم أحوال وأصهار، وهم أعوانكم على عدوكم وأعدائكم على دينكم" وذكر أيضاً نقلاً عن أبي نبيعة عن عمر مولى غفرة أن رسول الله ﷺ قال: "الله ١٠٠٠ الله في أهل للذمة، أهل المدرة السوداء"^{٢٠} ويذكر الطبرى حول القرابة التي كانت تربط بين المصريين والفاطحين للمسلمين ويقول ابن عمرا طلب من القبط أن يساعدوا المسلمين، لما كان بينهم وبين العرب من قرابة في النسب إذ تجمعهم (هاجر) أم إسماعيل عليه السلام، ولكن القبط قالوا إن هذه القرابة ما بعدها، فأسهلهم عمرو لربعة أيام ليأتوا إليه بما استقروا عليه، ولكن ما كان قائد الروم لينظر في مثل هذا الأمر^{٢١}. وعن عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله ﷺ يقول "إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيراً فذلك الجند خير أجناد الأرض" فقال لبر بكر: "ولم يا رسول الله؟" قال "لأنهم أزواجهم في رباط إلى يوم القيامة"^{٢٢}.

وقد قام النبي ﷺ في السنة السادسة للهجرة بإرسال مجموعة من الرسائل إلى ملوك وأمراء العالم على عصره منها رسالة إلى المقوقس حاكم مصر من قتل هرقل إمبراطور الروم مع رسولا من قبله وهو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي جاء فيها دعوته إلى الإسلام ولن محمداً عبد الله ورسوله، وقد

احتقى حاكم مصر بمبعوث النبي ﷺ وأكرم وفلنته ويكاد يجمع مؤرخوا العرب على أنه أحسن استقباله وأجابه بقوله "قد كنت أعلم أن نبياً قد بقي، وكنت لظن أن مخرجه الشام - وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله - فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني في اتباعه، ولا أحب أن يعلم بمحاورتي إليك"^{٢٢} ورده بهدية إلى النبي ﷺ كان على رأسها السيدة مارية القبطية زوج النبي ﷺ والحقيقة وما نريد أن نؤكد عليه في هذه النقطة أن العلاقات كانت وثيقة ما بين العرب قبل الإسلام وبعده وما بين أقباط مصر في كافة المجالات فلم يكن هناك انفصال أو عدم احتكاك بين الطرفين فعلى الصعيد الاقتصادي أو التجاري كانت هناك معاملات فينكر القلقشندی في "صبح الأعشى" أن العرب قبل الإسلام كانوا يستوردون من أقباط مصر النسيج الذي يعرف باسم القباطي^{٢٣} نسبة إلى القبط ثم بعد الإسلام أصبحوا يستوردون الدجاج^{٢٤} وعلى هذا نرى أنه لم تكن هناك عربة أو وحشة ما بين أقباط مصر والعرب الفاتحين مما سهل فيما بعد عملية التعايش بين الطرفين.

معاملة الفاتحين المسلمين لأقباط مصر:-

كان الجيش العربي الذي قام بفتح مصر يتكون من اثني عشر ألف مقاتل جلهم من القبائل العربية المختلفة. وبعد الفتح ظل العرب ينتفون إلى مصر في موجات متتابعة كان أكبرها كما ينكر الكندي هجرة قبائل قيس^{٢٥} في سنة ١٠٩هـ-٧٢٧م في خلافة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) - (٧٢٤ - ٧٤٣م) وفي هذا يقول الكندي "مات هشام وببلييس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس" والحقيقة نستطيع أن نلمح منذ البداية في يسر ووضوح أن الحرب لم تكن قائمة إلا بين العرب الفاتحين والروم. وأن القبط قد وقتوا من الجيشين موقف المحايد. وإن كانوا - كما يضيف د/ جمال الدين الشبال - في سرائرهم يتمنون النصر للعرب لما سمعوه عنهم من حسن المعاملة وطيب المعاملة^{٢٦}.

وقد كان الأقباط في مصر وقت الفتح الإسلامي يشكلون غالبية الشعب المصري وفي هذا يقول المقرئزي: "أعلم أن لرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى وهم على قسمين متباينين في أجناسهم وعقائدهم: أحدهما أهل الدولة، وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم، ورأيهم وديانتهم بأجمعهم دينانة للملكية، وكانت عدتهم تزيد على ثلاثمائة ألف رومي، والقسم الآخر علما أهل مصر ويقال لهم القبط، وأسمائهم مختلطة، لا يكاد يتميز منهم القبطى من الحبشى من النوبى من الإسرائيلى الأصل من غيره، وكلهم يعاقبة فمنهم كتاب للملكة، ومنهم أهل الفلاحة والزرع، ومنهم أهل الخدمة والمهنة، وبينهم وبين الملكة - أهل الدولة - من العداوة ما يمنع مناكرتهم، ويجب قتل بعضهم بعضاً^١ وهكذا على تلك الحالة من العداوة والبغضاء بين أهل البلاد وحكامهم من الروم لقي أقباط مصر للفاتحين المسلمين.

وفي البداية لود أن أذكر في تلك النقطة الخاصة بالمعاملة أن للعرب لم يشتغلوا في معاملة أقباط مصر شأنهم في هذا شأن معظم المدن التي فتحت على أيديهم، بل عاملوا أقباط مصر بمنتهى اللين، فخيرهم بين الإسلام والبقاء على دينهم، فكان من أسلم منهم صار له ما للمسلمين من الحقوق، وعليه ما عليهم من الواجبات، ومن بقى على دينه فرضت عليه جزية^٢ صغيرة مقدارها ديناران على من بلغ الخلم منهم، واستثنوا النساء والشيوخ والأطفال، أضف إلى ذلك رفع الاضطهاد عنهم وعدم تحميلهم مالا يطيقون، كما سبق أن أسلفنا في عهد الرومان، وبهذه الطريقة أتيح للفاتح العربى الكبير عمرو بن العاص أن ينفذ مشروعاته وأوامره دون أن يلقى عتاء كبيراً، والحقيقة كما يذكر د/حسن إبراهيم أن عمراً كان يضع مصلحة المصريين نصب عينيه ولم يأل جهداً في اكتساب محبتهم فدفنوا له بالطاعة ولحبوا ولايته^٣. ويكاد يجمع مؤرخو المسلمون في هذا العصر على المعاملة الحسنة وسياسة التسامح التي حظى بها أقباط مصر من قبل الفاتحين المسلمين ومما يدل على ذلك ما ذكره البلاذرى في كتابه "فتوح

البلدان" حيث يقول: إن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما
وفى قول آخر للحسين بن علي بن أبي طالب كلم معاوية بن أبي سفيان في
إسقاط الجزية عن أهل قرية أم إبراهيم بن الرسول رضي بمصر فأسقطها عنهم
وذلك اقتداءً بأمر النبي رضي الذي كان يوصى بالأقباط خيراً^{٢١}. هذا ونرى أن
نظام الجزية في حد ذاته كان من أكبر علامات ومظاهر التسامح من قبل
للفاتحين المسلمين فقد خرج النساء والصبيان والشيوخ العجائز من الجزية التي
فرضها عمرو بن العاص على أهالي مصر من القبط^{٢٢} ولم تكن سياسة التسامح
وحسن المعاملة وليدة الموقف ذاته بعد الفتح بل هو أسلوب محفور في نفس
الفراد المسلمين الفاتحين حملوه معهم أينما حطوا لينكر البلاذري أنه بعد أن تم
فتح مصر بلا عهد^{٢٣} قام الزبير بن العوام وقال لعمرو بن العاص لسمها بيننا -
ويتصد هنا أرض مصر التي فتحت عنوة - فقال عمرو: لا والله لا أسمىها حتى
اكتب إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، فكتب إلى عمر، فكتب إليه أن يقرها
على حالها حتى يحاربه أهلها^{٢٤}. وقد صالح المقوقس - حاكم مصر من قبل
إمبراطور الروم هرقل - عمرو بن العاص على أن يفرض على القبط دينارين
فقط على كل من بلغ للحلم من الرجال، وعندما بلغ ذلك هرقل صاحب الروم
سخط أشد السخط وبعث الجيوش إلى الإسكندرية^{٢٥} ففتحتها عمرو بن العاص
عنوة^{٢٦} ويضيف البلاذري نقلاً عن شاهد عيان وهو عقبة بن عامر الجهني، أحد
من شهدوا فتح مصر مع عمرو بن العاص ويقول: "كان لأهل مصر عهد وعقد
وكتب لهم عمرو: أنهم لننون على أموالهم ودمائهم ونسائهم ولولادهم لا يباع
منهم أحد، وفرض عليهم خراجاً لا يزداد عليهم، وأن يقطع عنهم خوف عدوهم،
وقال عقبة، وأنا شاهد على ذلك"^{٢٧}.

والحقيقة عندما نتأمل شروط الصلح السابقة نرى شيئاً فريداً فعندما
فرض عمرو على أقباط مصر خراجاً معنى هذا أن الأراضي الزراعية ظلت
في أيدي النصارى ولم تنزع منهم كما كان يفعل معهم من قبل، وأيضاً عدم

زيادة تلك الضريبة الخرجية بما لا يطيقون يدل على حسن سياسة عمرو وثباته في محاولة استمالة أقباط مصر وضرب المثل للرائع لهم عملياً بحسن اخلاق الفاتحين الجدد.

ويبدو أن خطط عمرو بن العاص كانت طموحة جداً بالنسبة لمصر بعد الفتح، فقد حاول عمرو منذ البداية اكتساب ثقة أقباط مصر، ففى لول الأمر لم ينقل عليهم فى الجزية علاوة على أن عمرا يعرف انه باكتساب أقباط مصر إلى جانبه سيكسب كثيراً، ومن هنا جاءت جباية مصر فى عهده قليلة نيقال أن جباية مصر فى عهد عمرو ابن العاص ألف ألف فى حين جاءت جباية مصر فى عهد عبد الله بن سعد بن أبى السرح والى مصر من قبل سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه لربعة آلاف ألف، مما دفع سيدنا عثمان أن يقول لعمرو : "إن القلاح بمصر بعدك قد نرت ألبانها" ويضى أن الناقة - أى مصر - قد زاد خراجها فى عهد عبد الله بن سعد عن عهده، فرد عليه عمرو قائلاً "ذلك لإتكم أعجفتهم فصيلها" - أى أنهم بالغوا فى فرض الجزية على أهالى البلاد حتى حدث لهم هزال^{٢٨} ، وقد صدق حدث عمرو بالفعل وقام أقباط مصر بعدة ثورات كما سنذكر لاحقاً من شدة وطأة الجزية التى فرضت عليهم .

١٢

ويضيف البلازري أن أقباط مصر تفاوضوا مع الفاتحين المسلمين كي يعاملوهم كما عاملوا أهالى الشام فى أعقاب الفتح الإسلامى فى الشام حيث وضعوا على النصارى واليهود فى الشام الجزية، وأرؤهم على الأراضى التى تحت يديهم يعصرونها ويزدون خراجها ويأفعل فرضت الجزية على كل حالم فقط ومقدارها دينارين - وتسقط الجزية عن الفقير منهم - ووضع على أصحاب الأراضى مع الدينارين ثلاثة لوانب من الحنطة وقسطى زيت وقسطى عمل وقسطى خل، وتجمع هذه الأشياء فى دار الرزق وتقسم على المسلمين . ثم أحصى عمرو للمسلمين ولزم أقباط مصر لكل رجل منهم جبة صوف وبرنسا. ^{٢٩}Albronz أو عمامة وسراويل Zaraguelles^{٣٠}، وخنين فى كل علم.

ويمكن أن تبدل الجبة الصوف بثوب قبطي^{١١} وكتب عليهم بذلك كتاب وشرط عليهم إذا وفوا بذلك أن لا يتابع نساؤهم وأبنائهم ولا يتعرضون للسبي وأن تقرر لمواليهم وكنوزهم في أيديهم، وكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" فأجاز ذلك^{١٢}. وإذا نظرنا نظرة تحليلية متأنية إلى تلك الشروط التي تفاوض بها عمرو بن العاص مع أقباط مصر رأينا أن تلك الشروط تمثل نوعاً فريداً من العدالة في توزيع خيرات هذا البلد المفتوح، علاوة على أن المسلمين هم الفاتحون المنتصرون ورغم غلبتهم على أقباط مصر لأصحاب الأرض والبلد لم يحاولوا انتزاع كل ما يقع تحت أيديهم بل حاولوا أن يشاطروهم بنسبة ضئيلة بالتقاس إلى ما كانوا يدفعونه إلى الروم من خيرات هذا البلد الكثيرة، ونرى كذلك محاولة الفاتحين المسلمين الحش والتعاضد جنباً إلى جنب مع أقباط مصر، فكانت روح للفروسية العربية التي خرجوا بها من شبه الجزيرة العربية سابقة لكل القوانين الحربية الوضعية التي شهدتها التاريخ الإنساني كله في عصور سابقة بل ولاحقة. فلا يصافقنا كثيراً بين نفتى كتب التاريخ لأن يتفاوض غالباً مع مغلوب بمنزل تلك الاستتارة والرحمة.

ويذكر د. أحمد مختار العبادي أن عمرو بن العاص استخدم آلاف العمال المصريين في إصلاح طرق الري في مصر صيفاً وشتاءً^{١٣} وربما لجأ عمرو إلى استخدام المصريين في تلك الأعمال بصفة خاصة لخبرتهم الواسعة في هذا المجال علاوة على إيمانهم تحت لواءه وفتح أبواب الرزق أمامهم من جهة ثالثة ولم تكن العمالة تخضع لأي نوع من أنواع السخرة كما تذكر كتب التاريخ بذلك في عصور لاحقة.

والخلاصة كما يذكر د. حسن إبراهيم أن مؤرخي العرب أجمعوا على أن القبط كانوا أعواناً للعرب في حصار^{١٤} القراما^{١٥} وهي من أوائل المدن التي فتحتها العرب.

وحول بقاء معظم أراضي مصر الزراعية في يد أصحابها من الأقباط
يذكر د. محمد أمين صالح، أن معظم أراضي مصر ظلت في يد أصحابها
المصريين الأقباط بيد أنه فرض عليهم للخراج الذي كان يقدر بمدى نوعية
الأرض وخصوبتها، وأيضاً بمدى الفيضان ومقداره، علاوة على نوع
المحصول^{٢٤} وقد كانت عطية عمرو بن العاص من الناحية الاقتصادية عقلية
شديدة الوعي والمعرفة بأمور مصر الزراعية ومعرفة كيفية التصرف مع
أقباطها حيال هذا الأمر فيذكر د. السيد عبد العزيز سالم أن عمرو بن العاص
أقلم عدة مقاييس للنبل وفي مواقع مختلفة من البلاد يستطيع عن طريقها أن يحدد
مقدار الخراج، وراعى عمرو بن العاص مقتررة أهل مصر في دفع الضرائب^{٢٥}
وتبرز هنا سياسة عمرو الواضحة تجاه أقباط مصر من خلال هذا النص الذي
أورده المقرئى. فقد حدث أن استبطن الخليفة عمر بن الخطاب "رضى الله عنه"
خراج مصر فأرسل إلى عمرو بن العاص يستفسر منه عن سر التأخر في
إرسال خراج مصر، فكتب إليه عمرو بن العاص كتاباً قال "فقد أتاني كتاب أمير
المؤمنين يستبطن في الخراج، ويزعم أني أحميد عن الحق وانكث عن الطريق،
وأني والله ما أوجب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الأرض استظروني إلى أن
تترك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من أن تحرق بهم فيصيروا
إلى بيع ما لا غنا بهم عنه والسلام"^{٢٦} وفي هذا الخطاب ما يدل بما لا يدع مجالاً
للشك على حسن معاملة الفاتحين المسلمين لأهل مصر من القبط وخاصة في
النواحي الاقتصادية - أي عمليتي جمع الجزية والخراج - ويضيف المقرئى
في موضع آخر بأن نصارى مصر قد أخذوا من الفاتحين المسلمين سنة عهود
ومواثيق وهي ألا تؤخذ منهم أراضيهم، ولا يزداد عليهم شيء، ولا يكلفوا غير
طاقاتهم، ولا تؤخذ ترابريهم ولا نسايتهم، وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم،
ويُدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم^{٢٧} ومن الأسباب التي دفعت لأقباط مصر
إلى محبة الفاتحين المسلمين ما يذكره د. حسن إبراهيم حسن ويقول: إن أئمة

المقوقس حاكم مصر من قبل الروم كانت بمصر حين فتحها المسلمون، فأرسلها عمرو بن العاص إلى ليبيها معززة مكرمة، مما أكسب المسلمين محبة الأقباط فصن ربلهم فيهم وفي حكمهم^{٥٠} أما على الصعيد المعاملة الدينية فلم يتدخل الخلفاء في عقيدة المصريين الدينية وبخاصة في فترة حكم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول، بل تمتع المصريون بحريتهم الدينية التي كانوا قد انتقوها في ظل الحكم البيزنطي، وكان يسمح لهم بانتخاب بطاركتهم، بل إن الفاتحين المسلمين انحازوا للأرثوذكسية^{٥١} عقيدة غالبية المصريين، بحيث غلبت على كنائس مصر ودياراتها، وعاد كثير من القبط إليها بعد أن كانوا قد اضطروا إلى الخروج عنها نتيجة لتعذيب البيزنطيين، كما أن عمرا ومن خلفه من الولاة، لم يمسا إطلاقا أموال الكنيسة للقبطية، ولم يأخذوا الجزية من الرهبان ورجال الدين، وكذلك بنيت في هذا العهد كنائس كثيرة مثل: كنيسة القديس مرقس في الإسكندرية ومار جرجس في الفسطاط^{٥٢}، كذلك أبقا على الكتاب القبطي في الإدارة وأحلوه مكان البيزنطيين^{٥٣}. وقد كان المسلمون يشتركون مع الأقباط في الصلاة من أجل النيل إذا جاء منخفضا، وكانت هذه الصلاة تعرف بصلاة الاستسقاء^{٥٤}.

ومما يدل أيضا على حسن سياسة العرب في مصر أنهم لم يفروا بين الملكاتية واليعاقبة من المصريين الذين كانوا متساوين أمام للقائون، والذين نزلهم العرب بعلمهم وحمومهم بحسن تكبيرهم^{٥٥} ودليل آخر على حسن المعاملة في أن القبط قد سكنوا بمدينة الفسطاط الإسلامية إلى جوار الفاتحين المسلمين، في المكان المعروف بزقاق مسجد القبة بقصر الشمع، حيث كان يسكن جماعة من أعيان الأقباط^{٥٦} ويضيف ابن دلعان أن القبط سكنوا أيضا وبخاصة أكبرهم في درب المسئلة^{٥٧}.

معاملة عمرو لأفباط الإسكندرية:

كانت مدينة الإسكندرية هي عاصمة مصر عند الفتح العربي الإسلامي، وقد كانت هذه المدينة من أكبر مدن العالم المعروفة على عصرها^{١٥} وقد أكمل عمرو بن العاص مسيره فاصداً مدينة الإسكندرية^{١٦}، التي استعدت لقتاله، وبخاصة جيش الروم، أما أفباط المدينة فقد أثروا المواجهة، وعقد الصلح مع عمرو بن العاص، حيث أرسل إليه المقوقس بسأله الصلح والمهادنة إلى مدة معينة، فرفض عمرو عرض المقوقس، فأمر للمقوقس للنساء بأن يقمن على سور المدينة متجهات بوجوههن إلى الداخل والرجال من أمامهن مقبلين بوجوههم إلى الخارج، كي يرهب المسلمون كثرة أعدادهم، فأرسل إليه عمرو من يقول له أنه قد كشف خدعته ولن المسلمين لا يرهبون كثرة الجيوش الرومية، علاوة على أن جيوش المسلمين قد نقيت هرقل نفسه ملك الروم، وأجبرته على التقهقر والعودة إلى مدينة القسطنطينية عاصمة ملكه، وكان للمقوقس يدعوا أصحابه إلى الأذعان والتسليم لجيوش المسلمين التي لا قبل لهم بمحاربتها فلبى اتباعه إلا المحاربة، وقاتلهم المسلمون ثلاثة أشهر قتالاً شديداً، وحاصروهم إلى أن فتحت المدينة عنوة، ورغم هذا الفتح الحربي الذي تحدد بالقوة الإسلامية، إلا أن عمرا بن العاص عفا عن أهل المدينة ولم يمسب منها أحد وجعلهم أهل نمة، ثم كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب بفتح مدينة الإسكندرية^{١٧} وقد قام عمرو بن العاص - في أثناء فتح مدينة الإسكندرية وعقد الصلح مع المقوقس حاكم مصر والذي كان يوجد في المدينة في ذلك الوقت - بتأمين القبط مما جعل أفباط مصر يأخذونها جميلاً حسناً من عمرو. علاوة على خروج جماعة من رؤساء القبط يصلحون لهم الطرق ويقومون لهم الجسور والأسواق، وصاروا بالفعل عوناً كبيراً لهم في قتالهم ضد الروم، وقد ساند الأفباط ورؤسائهم عمرو بن العاص قرابة الشهرين أثناء حصاره لمدينة الإسكندرية قبل الفتح كانوا يمنونهم بما يحتاجون إليه من الأطعمة والأعلاف وغيرها^{١٨} وقد

اشترط عمرو على الأقباط أن يكون للمسلمين الحق في النزول عليهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك لهم ضيافة ثلاثة أيام مقترضة عليهم، وفي مقابل ذلك لا يتعرض المسلمون لأراضيهم وأموالهم، وتعد أقباط مصر بإقامة النزل للمسلمين والضيافة وإقامة الجسور وإصلاح الطرق ما بين القسطنطينية والإسكندرية^{١٢}.

والواقع أن فتح مدينة الإسكندرية لم يشهد مقاومة أو معارضة من جانب أقباط مصر الذين التزموا دائما بجانب الحياض، وإنما ظلت العقارمة مستمرة من جانب القوات الرومية التي أحصت دائما بالذلة وبخاصة في عملية أداء الجزية فقد بعث الروم الموجودون في الإسكندرية إلى قسطنطين بن هرقل والذي تولى العرش بعد موت أبيه يخبرونه بقلة عند الحامية الإسلامية المرابطة في ثغر الإسكندرية ويحثونه على إرسال حملة لاسترداد المدينة من أيدي المسلمين. وبالفعل أرسل حملة متوالية سنة ٢٥هـ - ٦٤٥م في ثلاثين مركب مشحونة بالجنود وتمكنوا من استرداد مدينة الإسكندرية مرة أخرى، وعندما علم عمرو بن العاص بسقوط الإسكندرية في أيدي الروم، هرع إليها في خمسة عشر ألفا من الجنود المسلمين وتمكن من استرداد المدينة وهدم أسوارها وقتل القائد الرومي مانويل^{١٣} والثابت تاريخيا أن معظم أقباط الإسكندرية ظلوا بها ولم ينزحوا عنها بعد الفتح الإسلامي ومما يدل على ذلك ما ينكره البلاذوري حول مبلغ الجزية في مدينة الإسكندرية فيذكر أن مبلغ الجزية وصل إلى ثمانية عشر ألف دينار في عهد عمرو بن العاص، وهو مبلغ كبير يدل على عدم نزوح الأقباط ممن فرضت عليهم الجزية مثلما فعل الروم في أعقاب حملة مانويل القاشلة^{١٤} وينكر د. حسن إبراهيم أن القبط لم يرحبوا بعودة بلادهم - أي مدينة الإسكندرية - إلى الروم فيسمونهم الخسف لمظاهرة العرب، ورضاهم عن حكمهم من جهة، ولما كان بينهم وبين الروم من الخلاف المذهبي الذي كان مصدر شقائهم من جهة أخرى. لهذا كتب القبط إلى الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، يلحون

عليه في إسناد حروب الروم إلى عمرو بن العاص، لما كسبه من حروبه معهم من خبره، فولى عثمان عمرا الإسكندرية، وعهد إليه بحرب الروم وإخراجهم من مصر، وفي مدينة نتيوس دار القتال بين جند عمرو وجند ماثويل في البحر والنهر، وشد المسلمون على العدو وانتصروا عليه، وفي الموضع الذي رفع فيه السيف بنى عمرو مسجداً أطلق عليه مسجد الرحمة، وقام بهدم سور الإسكندرية ويستوطن الإسكندرية ثبتت أقدام العرب في مصر^{٦٥}.

وقام عمرو بن العاص بعقد صلح الإسكندرية مع المقوقس حاكم مصر. جعل فيه عمرو أهل الإسكندرية أهل نعمة، وترك لهم حرية البقاء أو الرحيل، شأن العرب مع أهالي معظم البلاد التي فتحوها، وإنما عامل عمرو أقباط مصر معاملة من فتحت بلادهم صلحا ليستجلب محبتهم ويتلخص الصلح الذي عقده عمرو مع المقوقس فيما يلي:-

- (١) أن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين في كل سنة.
- (٢) المهانة أحد عشر شهرا.
- (٣) احتفاظ العرب بمركزهم مدة الهدنة، وألا يباشروا أعمالا حربية ضد الإسكندرية، وأن يكف ضد الروم عن الأعمال العدائية.
- (٤) ألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء وألا يتدخلوا في أمور المسيحيين.
- (٥) أن ترحل الحامية مع ما يملكون من أموال ولمتعة وأن يدفعوا الجزية عن شهر عند رحيلهم. وقد حاول عمرو
- (٦) بقاء اليهود بالإسكندرية.
- (٧) ألا يعود أو يحاول استرداد مصر جيش روم.
- (٨) أن يكون عند المسلمين من الروم ١٥٠ جنديا و ٥٠ ملكيا رهينة لتنفيذ هذه المعاهدة.

ونرى بوضوح من خلال هذه المعاهدة رغبة عمرو في اكتساب أقباط

مصر والمحافظة على كنائسهم ومقاسماتهم^{٦٦}.

وقد حاول عمرو بن العاص التقرب وتقريب بعض كبار الشخصيات المسيحية في مصر ومنهم بنيامين بطريك الإسكندرية الذي دعاه عمرو للحضور أما مطمئنا فلما حضر إلى كرسية البطريركي احتل به عمرو بن العاص وأطلق يده في الأشراف على شئون القبط. فقام بنيامين بدوره بإبلاغ الأقباط سكن مصر بانقطاع ملك الروم. وبأمرهم بتلقي عمرو وجيوشه، ويبدو أن فريقا من الأقباط أطاع بنيامين وساعدوا المسلمون واتصموا إليهم وكتبوا عوناً لهم^{١٧}. وقد كتب عمرو بن العاص للبطريك بنيامين والأساقفة عهود الأمان التي كانوا قد افتقدوها في لقاء الحكم البيزنطي، وفروا متخفين إلى الصحراء والجزر هاربين^{١٨}.

وقد عاد بنيامين إلى الإسكندرية بعد أن غاب عن كرسي البطريركية ثلاثة عشرة سنة فأمره عمرو بن العاص بضبط أحوال الكنيسة القبطية^{١٩} وقد أمر عمرو بن العاص باستقبال بنيامين عندما جاء من منفاه في الصحراء إلى الإسكندرية لحنن استقبال ولقى على مسامحة خطايا يلغها ضمنه الاكتراحات التي رآها ضرورية لحفظ كيان الكنيسة، فتقبلها عمرو ومنحه السلطة الثامة على القبط والسultan المطلق لإدارة شئون الكنيسة^{٢٠}، وقد لاحظ بتر أن عودة بنيامين إلى عرش الكنيسة كفاها شر الفروع في أزمة خطيرة، علاوة على أن عمرو لم يضع يده على شيء من ملك الكنائس، ولم يرتكب شيء من النهب والغصب، بل إنه حفظ الكنائس وحماها إلى آخر مدة حياته، وبضيف بتر قائلا: إن ما كان أعظم ابتهاج القبط بخلصهم مما كتبت فيه، فقد خرجوا من عهد ظلم وعسف وتناول بهم، وهوت بهم إليه حملة البيزنطيين، وأل أمرهم بعد خروجهم منه إلى عهد من السلام والاطمئنان وكتبتوا من قبل تحت نارين من ظلم حكام الدنيا واضطهاد أهل الدين، فأصبحوا وقد فك من قديم في أمور الدنيا، وأرخى من غنائهم. وأما دينهم فقد صاروا فيه إلى تنفس حر وأمر طليق، وقد يقال إن حكمهم للجديدين قد أدخلوا إلى الأرض دينا غربيا غير دين

المسيح، وهذا حق. غير أنهم لم يروا في ذلك إلا عدلاً من الله إذا لجمع الناس على قول واحد قتلوا: "ما خرج الروم من الأرض وانتصر عليهم المسلمون، إلا لما ارتكبه هرقل من الكبائر، وما نزله بالقبط وملتهم على يد قيرس، فقد كان هذا سبب ضياع أمر الروم وفتح المسلمين لبلاد مصر" هكذا كان الناس يرون، وهكذا كانوا يحكمون^{١١}. والحقيقة كيفما كان الأمر من رأى أقباط مصر في حكاهم الجند يتضح لنا من خلال ما عرضناه من سياسة عمرو وبخاصة سياسة التسامح الديني، مما مكن أقباط مصر من حرية ممارسة شعائرهم الدينية، كان هو العامل الأهم في تقبل الفاتحون المسلمون بسهولة ومحاولة التعايش معهم في سلام بعد زمن من الاضطرابات والاضطهاد. وقد شجعت هذه السياسة السمحة العديد من أقباط مصر للدخول في الدين الإسلامي وينكر د. جمال الدين الشيال في كتابه تاريخ مصر الإسلامية: أن دخول الأقباط في الدين الإسلامي كان دخولا طبيعيا، يسير مع التطور المنطقي للأحداث، وللتاريخ في مصر بعد الفتح الإسلامي وأن الدين الإسلامي ببساطته وبساطة تعاليمه وعقائده قد جذب هؤلاء الأقباط إليه^{١٢} ويؤيد رأى د. الشيال شاهد عيان من الديانة المسيحية وهو المؤرخ والمستشرق الإنجليزي المعروف سير توماس لرنولد Sir Thomas Arnold في كتابه الدعوة إلى الإسلام. The Preaching of Islam حيث يقول:- "الحق أن كثيرا من مسيحي مصر تركوا النصرانية بمثل هذه السهولة وتلك السرعة التي اعتنقوا بها النصرانية في مستهل القرن الرابع الميلادي، كما أن سرعة انتشار الإسلام في الأيام الأولى من الاحتلال العربي قد تكون راجعة إلى عجز ديانة كالديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء، أكثر من أن تكون راجعة إلى الجهود الظاهرة التي قلم بها الفاتحون لجذب الأهلين إلى الإسلام، وأن الأسس اللاهوتية لبقاء اليعقوبيين حزبا منفصلا، والشعائر التي جاهدوا في سبيل الاحتفاظ بها وقتا طويلا، ودفعوا ثمنا غاليا في هذا السبيل، قد اجتمعت في عقائد كانت صيغتها أشد ما تكون غموضا وإبهاما من الناحية الميتافيزيقية، ولا

شك أن كثيرا من هؤلاء قد تحولوا - وقد أخذت الحيرة منهم كل مأخذ،
واستولى على نفوسهم الضجر والإعياء من ذلك الجدل السقيم الذي احتكم حولهم
إلى عقيدة تتلخص في وحدانية الله البسيطة الواضحة ورسالة نبيه محمد ﷺ.^{٧٢}
وإذا ما انتقلنا بالحديث إلى مجال الحياة الاجتماعية فنرى أن العرب
والفاتحين المسلمين كعادتهم لم يترفخوا عن الاختلاط بالشعوب المغلوبة، فقد
حدثت عملية لختلاط كبيرة بين العرب وأهل مصر من الأقباط، بحيث اختلطت
أنساب العرب بأنساب المصريين بما حدث بينهم من تزاوج^{٧٣} ويذكر المعري في
في معرض حديثه عن لؤس مصر الزراعية وخراجها، أن العرب بعد نزولهم
بمصر وتفرقهم في أربابها واستوطنتهم ومخالطتهم لأهلها حدث لختلاط في
الأنساب ما بين العرب الفاتحين وأهل مصر من الأقباط إما لزواج الرجال
للمسلمين من نساء مسيحيات أو نتيجة لإسلام الرجال المسيحيين مما يتيح لهم
الزواج بالمسلمات.^{٧٤}

اللغة القبطية:

وقد كان التحول الكبير في حياة أقباط مصر وانماجهم مع المسلمين في
نسيج واحد، تحولهم من اللغة القبطية إلى اللغة العربية^{٧٥} وقد ظل هذا التحول يتم
بالتدريج خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، حتى إذا كان القرن الرابع الهجري
(١٠م)، كانت غالبية الشعب المصري يتكلمون بالعربية ولا يفهمون القبطية،
بدليل أن رجال الكنيسة القبطية اضطروا في هذا القرن أن يلقوا مواضعهم في
الكنائس باللغة العربية.^{٧٦}

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن بعض المسلمين تعلموا اللغة القبطية في هذا
العهد الأول - بداية عهد الاختلاط ما بين المسلمين والمسيحيين - حيث يذكر
الكندي أن بعض القضاة كانوا يسمعون القبط ويخاطبونهم بلغتهم^{٧٧}. وربما تعلم
القضاة على وجه التحديد اللغة القبطية في سنوات الفتح الأولى بسهولة فض

المنازعات التي ربما تنشأ بين المسلمين والأقباط علاوة على أن بعض الأقباط لم يكونوا قد أجادوا اللغة العربية بعد.

ثورات الأقباط:

في النهاية أردت أن أختتم هذا الموضوع بإشارة سريعة إلى ثورات الأقباط في مصر، وبالتحديد إلى بداية للثورات، ولماذا بدأت. والحقيقة التي لا مراء فيها أن هذه الثورات والانتفاضات ضد الحكم الإسلامي جاءت بعد الفتح العربي بنحو مائة عام كاملة وهو ما يوضح بما لا يدع مجالاً للشك للمعلمة الحسنة والسمة التي حظى بها أقباط مصر وبخاصة من الفاتحين الأوائل علاوة على للتعايش السلمي جنباً إلى جنب من كلا للطرفين ما يقرب من قرن كامل. وقد كان السبب الرئيسي لأول ثورات القبط في مصر اقتصادياً بحتاً، فلم تكن ثورة عقائدية أو دينية كما هو متوقع مما يزيد الرأي الذي تنادى به من ترك الحرية الدينية لأقباط مصر. وقد حدثت أول انتفاضة في مصر سنة ١٠٧ هـ (٢٢٥م) في ولاية الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم، ويرجع السبب إلى أن الحر زاد الخراج على أهل مصر ديناراً لكل قيراط من الأرض.^{٢٩}

٢٢

والحقيقة أردت أن أبرز هنا أن الثورات كلها كانت لأسباب اقتصادية ومادية بسبب زيادة الخراج وليس الجزية التي لم يذكر في عوامل قيام الثورات أنها كانت أحد الأسباب^{٣٠}. ويذكر د. حسن محمود سبباً آخر لثورات أقباط مصر فيقول: كانت تتمثل ثوراتهم أكثر في الناحية النفسية والأزمات النفسية من قبل المسيحيين تجاه المسلمين في مصر طوال العصر الأموي، وأول العصر العباسي، وذلك حينما وجد المسيحيون في مصر أن أعدادهم تتناقص ونفوذهم يتقلص، وإخوانهم الذين أسلموا حديثاً يعلو نجمهم في حياة البلاد^{٣١}.

وكيفما كان الأمر فما نريد أن نبرزه هنا أن القرن الأول شهد حالة من السلام الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي لم يشهدها عهد بين غالب ومظلوم على مدار التاريخ الإنساني كله، بما يشهد بأن العصريين نسيجا فريداً

لا مثيل له بين شعوب الأرض قاطبة. وفي النهاية نذكر أنه لم يكد يبدأ القرن الرابع الهجري (١٠م) حتى كان في مصر شعب جديد، هو خليط ممتاز من الشعبين العربي والقبطي، يدين معظمه بالدين الإسلامي، ويتكلم المواد الأعظم منه مسلمين وأقباط للغة العربية، - رغم ما ذكرته عن تناقض الأقباط - وما كان ليحدث هذا الاصتراج الرابع إلا نتيجة السياسة السمحة التي دخل بها فاتحون المسلمون منذ البداية.

الحواشي

^١ ولقب كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر، ويقصد بهم اليوم المسيحيون من المصريين وجمعها أقباط.

البلانورى: (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي) (ت ٢٧٩هـ - ١٩٢م) فروح البلدان، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، صرو أحمد عطوة، الإسكندرية، دار ابن خلدون، بدون تاريخ، ص ٢٢٨، هاش (١).

في حين يذكر المقرئى أنه اسم جد *Encyclopédie de l'Esiam, Tomo 2, P5* للمصريين.

المقرئى: (تتى الدين أبى الجلس أحمد أحمد بن على المقرئى) (ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م) كتب الموايد والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، الجزء الأول، الهيئة العامة لتصور الثقافة، للخاطر (٥١) رقم الإيداع ٧٨٦٩ / ٩٩، ص ١٨.

^٢ عزيز سوريل صطوة: الإسكندرية المسيحية، مقال بمجلة غرفة التجارة، الإسكندرية، ١٩٤٩م، ١٣٦٩هـ ص ٧٨، ٧٩.

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢م، ص ٤١.

^٣ عبد العزيز سالم: نفس المرجع، ص ٤٢.

ويضيف ملن Milne في هذا الشأن أن المسيحية منذ دخولها مصر انتشرت انتشاراً كبيراً مما حذى ببعض أباطرة الرومان بإصدار منشورات خاصة تطلب من كل مصري أن يقدم شهادة اختيار للعقيدة، Libellus وأنه قام بتقديم القرابين للألهة الوثنية، وذلك بقصد الحد

من انتشار المسيحية بين افراد الشعب المصري، ورغم تلك الاجراءات الصارمة انتشرت المسيحية بصورة كبيرة، مما اسفر عن نروة الاضطهاد المسيحي في مصر في عهد الإمبراطور دقلديتوس Dicoletianuse وذلك في لواخر القرن الثالث الميلادي، ولوائل القرن الرابع الميلادي = وقد سمي هذا العصر بعصر الشهداء لكثرة القتلى من المسيحيين في مصر على يد هذا الإمبراطور الطاغية.
للمزيد:-

Milne. G.Grafton: A history of Egypt under Roman Rule , London ,
1924 , PP128 ,212.

^١ عزيز سورويل: المرجع السابق، ص ٨١.

عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ٤٢، ٤٣.

^٢ عزيز سورويل: نفس المرجع، ص ٨٠.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ٤٢.

عبد العزيز سالم: الإسكندرية، مقال بدائرة معارف الشعب، العدد ٨٥، القاهرة ١٩٥٩، ص ٣٢٨، هامش (١).

٢٤

^١ عزيز سورويل: نفس المرجع السابق، ص ٨١.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ٤٢، ٤٣. والجدير بالذكر هنا أن في العصر المسيحي وبعد الاعتراف بالمسيحية كتين من أديان الدولة البيزنطية أقيمت العديد من الكنائس بمدينة الإسكندرية منها كنيسة القديس مرقس البشير، على شاطئ الميناء الشرقية، بالقرب من رملى لوكيس، في مسافة قريبة للكنيسة المرقسية الحالية، وكذلك أقيمت كنيسة القديس اثامبوس التي أسست في سنة ٣٧٠م، وهو نفس المرضع الذي أقيم عليه جامع العطارين فيما بعد الفتح الإسلامي، فقد جاء في كتاب وصف مصر Description de L'Egypte ذكر جامع العطارين باسم جامع كنيسة القديس اثامبوس، كذلك تحول معبد القيصروم إلى كنيسة للقديس ميخائيل في عصر الإمبراطور قسطنطين، وكذلك أقيمت كنيسة الحفراء مريم على يدى الأسقف ثيونس ٢٨ - ٣٠٠م على شاطئ الميناء الغربى، وقد تحولت هذه الكنيسة أيضاً إلى مسجد جامع بعد الفتح الإسلامي سمي بالجامع الغربى نظراً لقربه من الميناء أو جامع الألف عمود، وقد تهتم في وقت لاحق.

عزيز سورويل: الإسكندرية المسيحية، ص ٨٢.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ٤٣.

عبد العزيز سالم. نفس المرجع، ص ٤٣ = ولحقيقة أن هذا النزاع ليس مستتر وراء الجدل المذهبي حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام، وينقسم المسيحيون فيه إلى طائفتين، أتباع مذهب الوحدانية البحتة، أو الطبيعة الواحدة، والتي تتلادى بطبيعة المسيح الإلهية البشرية في أن واحد ويسمون بالمونوفيزيت أو البعقبة، وكان هؤلاء يتبعون كنيسة الإسكندرية ثم اصحاب مذهب الطبيعتين، ويسمون بالدفيزيت أو الملكيتين، وكثرتا يتبعون كنيسة بيزنطة التي تكثر لنماج طبيعة المسيح الإلهية في طبيعت البشرية، ولتقدم النزاع بين الفريقين، وتكفل الأباطرة في هذا النزاع، وعقد الإمبراطور مارسيان اجتماعاً وقرر أن مذهب الوحدانية الذي تتبعه كنيسة الإسكندرية كثر وإحداً وخروج عن الدين الصحيح، وقرر طرد نيقوروس بطريرك الإسكندرية من الكنيسة ونفيه.

للمزيد حول هذا النزاع المذهبي راجع:- الفريد. ج. بتلر: فتح العرب لمصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة أحمد فريد أبو حديد، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م، ص ٤٢.

أهدرس بل: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ترجمة د. محمد هادي حسين، د. عبد اللطيف أحمد علي، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٢٢٧.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ٤٤.

٢٥.

١- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والتقاني والاجتماعي، دولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، الجزء الأول (١ - ١٣٢ هـ) (٦٢٢ - ٧٤٩ م) دار الجليل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ص ١٩١، ١٩٠.

٢ عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ٤٤، ٤٥.

٣ فيرس هو نفسه المقوقس وهو لقب الذي أطلق خطأ على كبير القبط وحاكم مصر في ذلك العصر.

للمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية والآراء التي أثرت حولها راجع البحث القيم الذي ذكره بتلر في نهاية كتابه. فتح العرب لمصر من ص ٤٩٧ إلى ص ٥٢٠. وهامش (١) ص ١٢٦.

٤ للمزيد عن المونوثوليين ومذاهبهم وتعاليمه راجع:- بتلر: نفس المرجع، ص ١٢٢، ١٢٩، ١٤٠، ١٦٠، ١٦١.

٥ مدينة قوص: من أعظم مدن صعيد مصر وتقع على نهر النيل وبنيت بعد مدينة قفت، على أيام ملك من ملوك القبط الأول يدعى مدان بن عديم بن قنطريم ولذلك سميت باسم قوص

بن قط بن لخميم، وتكثر بأرض فرص العتارب السمة، حتى أن سكانها كانوا يمشون ليلاً بالمصابيح ومثك من حديد لقتل تلك العتارب، ولما بدأت هذه المدينة في الانتشار مع نهضة القرن الثامن للهجرى.

للمزيد راجع: المقرئى: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقرئية) الجزء الأول، ص ٢٣٦.

¹⁷ للمزيد عن حياة البطريك القبطى بنيامين وقصة هروبه إلى جزيرة الصحراء راجع:-

بئر: فتح العرب لمصر، ص ١٥٦ وما يليها.

عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص ٤٧.

¹⁸ ch. Diehl: Histoire du moyen Âge, Tomo III, Lemondé Oriental, Paris 1936, P141.

فهدى بل: مصر من الإسكندر الأكبر، ص ٢٥٣.

¹⁹ Milne. G.Grafton: History of Egypt under Roman Rule, London 1913, PP 115 – 125.

²⁰ وللمزيد حول مظاهر هذا الاضطهاد راجع:- عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية حتى نهضة العصر الفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٧م، ص ١٢ وما يليها.

٢٦

²¹ O'leary, de Lacy: The Coptic Churches and Egyptian Monasticism. Oxford 1941, PP 317.

عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، التاريخ السياسى فى مصر، دار الفكر العربى، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص ٤٢.

²² البلاخورى: فتوح البلدان، دار بن خلدون، بدون تاريخ، ص ٢٤٢.

²³ عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ مصر الإسلامية، ص ٧ = لولمت السيدة (مارية) فى هدية عظيمة إلى النبى ﷺ مع جارية أخرى تدعى (شيرين)، وبغلة سماها النبى ﷺ (بلبل) ويزعم البعض خطأ أنها كانت أول بغلة عرفت فى بلاد العرب، وكذلك كان فى الهدية حملاً اسمها بظفور أو عنبر، ومنتار من المال، وقد لولمت السيدة مارية وتزوجها النبى ﷺ ولحبها وأنجب منها إبراهيم الذى ملت صغيراً ولولمت سنة ٦٣٦م، ١٥هـ، وبذلك لم تشهد فتح مصر وخضوعها للعرب.

ابن عبد الحكم: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي) (١٨٧ - ٢٥٧هـ) - (٨٠٢ - ٨٧٠م) فتوح مصر والمغرب والأندلس، تحقيق الأستاذ عيد المنعم عامر، القاهرة، ١٩١٤م، ج٢، ص٤٢.

بنظر: فتح العرب لمصر، ص١٢٦.

البلاتوي: فتوح البلدان، ص٢٤٢.

الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) (٢٢٤ - ٣٢٠هـ) (٨٢٨ - ٩٢٢م).

تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، المجلد الثامن، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص٥١٤.

ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ج١، ص١٠٢.

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص٧.

بنظر: فتح العرب لمصر، ص١٩٠، ١٩١.

بنظر: نفس المرجع، ص٢٧٩، ٢٧٨.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١٢٨.

ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ج٢، ص٤٢.

حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج١، ص١٣٥.

وقد جاء في رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس حاكم . بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى! أما بعد فبني لأدعوك بدعاية الإسلام، فلستم تعلم وأسلم بؤنك الله أجرك مرتين ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بلنا مسلمون ﴾ صدق الله العظيم سورة آل عمران: (٣) آية ٦٤.

القاتلندي: (أبو العباس أحمد) ٨٢١هـ - ١٤١٨م صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩م، ج٤، ص٢٨٩.

وقد كان أقباط مصر مصدراً أساسياً لصناعة النسيج فيما كان يعرف حينئذ بدور الطرز.

Ser Jeant: Material for History of Islamic Textiles, Arts Islamica, VOLIX, 1992, P65.

هو نوع من الحرير ويكاد يكون لفخر لتواعه.

R.Dozy: Supplément aux dictionnaires arabes. leyden 1881, 2éd, Tomo 1, P421.

^{١١} الكندي: (أبو صر محمد بن يوسف) ٢٥٠هـ - ١٦١م كتاب الولاة والقضاة، تحقيق روفن

جست، بيروت، لبنان ١٩٠٨م، ص ٧٧.

المقريزي: المواضع والاعتبار، ج١، ص ٨٠.

جمال الدين الشبل: تاريخ مصر الإسلامية، من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي،
الجزء الأول، دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٥٧.

ويورد لنا المقريزي نبوة عن النبي ﷺ حول فتح العرب لمصر حيث يقول: قال رسول
الله ﷺ منعت العراق ترهها وقبيلها، ومنعت الشام مدها ودينارها، ومنعت مصر أرضها -
أي غلالها - وعنتم من حيث بدأت، مما يحى أن النبي ﷺ كان يعلم ما لم يكن معلوم إلا في
علم الله، وأعلم بهذا قبل وقوعه، مما يدل على إثبات نبوته، ويضيف المقريزي أن في
تفسير الضع وجهاً أحدهما وهو الأرجح أن أهل هذه البلاد سوف يدخلون في الإسلام
فيستقط عنهم ما وجب عليهم لصلواتهم بسلامهم. والتفسير الآخر خروجهم عن طاعة
المسلمين وهو الرأي الأضعف حيث أن الخروج لم يكن يحدث إلا نتيجة تصف من قبل
بعض الولاة كاصري للنظر كما سطرى لاحقاً في ثنايا البحث عند الحديث عن ثورات
الأقباط.

٢٨

للمزيد راجع المقريزي: المواضع والاعتبار، ج١، ص ٧٦.

^{١٢} جمال الدين الشبل: نص العرج، ج١، ص ٢٩.

^{١٣} المقريزي: المواضع والاعتبار، ج١، ص ٢٩٢.

الشبل: تاريخ مصر، ج١، ص ٥٩.

^{١٤} الجزية: هي الأموال التي تؤخذ من أهل الفضة، وتسمى أيضاً ضريبة الرزوس وقد كتبت
تسقط بالإسلام.

البلدري: فتوح البلدان، ص ٢٤٥.

وقد نص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى 'فقتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر،
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا
الجزية عن يد وهم ساعرون' صدق الله العظيم. سورة التوبة رقم (٩)، آية (٢٩).

وقد لوضت الجزية على أهل الكتاب، كما فرضت الزكاة على المسلمين حتى يحدث تسوية
بين الطرفين، حيث يتمتع الفريقتان برعاية الدولة الإسلامية التي تظلهما، فأهل الفضة ليس
في مواضعهم ويلهم لو أبقروهم لو أخذهم زكاة، يتسوى الرجال والنساء من أهل الفضة في
ذلك.

ولهذا ليست الجزية دينا على النفس، وإنما هي واجب مقابل الخدمات التي يحصل عليها من الدولة، وانتقاعه بمراقبتها وحمايتها للمزيد راجع:-

أبو يوسف: (يعقوب بن إبراهيم) ١٩٢ هـ - (٨٠٧ - ٨٠٨ م) كتب الخراج، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م، ص ٦٩ - ٧٢.

^{٤٠} حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام الميسر، ج١، ص ١٩٦.

ويضيف د. السيد عبد العزيز سالم أن جزية الرؤوس التي فرضت على أهل النخعة من اللقب واليهود والروم (دينازين في النخعة) كانت مقابل تأمينهم على أموالهم وكنقسهم والنفاع عنهم، وأعطى من الضريبة النساء والأطفال والشيوخ.

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٣٦.

^{٤١} للبلانري: فتوح البلدان، ص ٢٤٢.

^{٤٢} للبلانري: نفس المصدر، ص ٢٤١.

المقريري: المواظ والاعتبار، ج١، ص ٧٦.

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٢١.

٢٩

^{٤٣} وقد تضلرت الأقوال تضلربا كبيرا في فتح مصر وهل فتحت صلحا أم فتحت عنوة والحقيقة أن تضلرب هذه الأقوال يدل على أن بعض أجزاء مصر فتحت صلحا كما جاء في المعاهدات التي حوتها كتب المؤرخين المسلمين والبعض الآخر فتح عنوة، وما يهنا هنا أن ما فتح صلحا ظل عهده مع المسلمين باقيا أما ما فتح عنوة فقد كان لا عهد له لبل المسلمين. المزيد حول هذا الموضوع راجع:-

المقريري: المواظ والاعتبار، ج١، ص ٧٧.

^{٤٤} للبلانري: نفس المصدر، ص ٢٤١، ٢٣٦.

^{٤٥} كانت مدينة الإسكندرية هي عاصمة مصر في ذلك الوقت وممثل للقوات الرومانية في مصر.

^{٤٦} للبلانري: نفس المصدر، ص ٢٤٢.

^{٤٧} للبلانري: نفس المصدر، ص ٢٤١.

^{٤٨} للبلانري: نفس المصدر، ص ٢٣٨، ٢٣٩.

المقريري، المواظ والاعتبار، ج١، ص ٨٩.

^{٤٩} البرنس Albronz: هو زي مغربي الأصل والمنشأ وقد أنتشر بصورة كبيرة في الأندلس وخاصة بعد عبور المرابطين إلى الأندلس، والبرنس كان يستخدمه الرجال ثم أصبحت

تستخدمه النساء، وفي البداية كان حكرًا على الطبقات العليا ثم أصبح أكثر استخدامًا وشيوعاً بين الخاصة والعامة.

- هنري بيرس: الشعر الأتلسي في عصر الطولوف ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمتها التوثيقية، ترجمة للكتور / الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، الطبعة الأولى، نو القعدة ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، ص ٢٨٥.

^{١٤} السراويل Zaraguelles هي من الملابس المشتركة بين الرجال والنساء وتلبس تحت الجباب للفضاضة وكلمة سرول محرفة عن الأصل الفارسي شلوار وقد انتقلت إلى العربية ومنها إلى الإسبانية ثم البرتغالية للمزيد راجع:-

R.Dozy: Dictionnaire Détaillé des noms des vêtements Chez Les Arabes, Amsterdam, 1845. PP203,204.

سحر السيد عبد العزيز سالم: ملابس الرجال في الأتلس في العصر الإسلامي، مجلة العهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والعشرون، ١٩٩٥ م، ص ١٧٤.

^{١٥} الثوب القبطي: أو القباطي نوع من النسيج جيد الصنعة امتاز به القباط مصر وأجاءوا صنعه وكان يصدرونه، وكان العرب في شبه الجزيرة العربية أحد مستوردي هذا النوع من النسيج.

التقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٧٩.

^{١٦} ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٥٦.

البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٢٧.

وتنكر د. سيدة لكاتف أن الجزية التي فرضت على الذميين كانت تتلصق مع ثروتهم الشخصية التي حققوها في ظل الاستقلال والإصلاحات التي أجراها الفقهاء المسلمون مما تحسنت معه أحوالهم وزادت ثروتهم.

سيدة إسماعيل كاتف: مصر في فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٤٧ م، ص ٥٦، ٥٧.

ويضيف د. محمد جمال الدين مرور بأن عهد الخلفاء الراشدين بصفة عامة كان عهد عدل وتسامح، فلم يشتغل ولاة مصر في جمع الخراج وبخاصة في الفترة التي أعقبت الفتح مباشرة.

محمد جمال الدين مرور: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص ٤٦.

³⁷ لعهد مختار العبادي: في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة للجمعية، الإسكندرية ١٩٩٩، ص ١٨٧.

³⁸ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السلسي، ج ١، ص ١٩٢.

³⁹ مدينة قزما: هي مدينة قنينة العهد ذات حصون قوية وكثبان وأبواب، وكان لها ميناء على البحر، ويصل إليها جدول ماء من النيل وكثت بمنايا مفتاح مصر في ذلك العهد عند الفتح الإسلامي. للمزيد راجع:-

بكرت: (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي) ٦٢٦هـ - ١٢٢٩م معجم البلدان، القاهرة، ١٣٢٢هـ ١٩٠٦م، ج ١، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

المعريزي: للمواظ والاعتبار، ج ١، ص ٢١١، ٢١٢.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السلسي، ج ١، ص ١٩٢.

⁴⁰ محمد أمين صالح: دراسات إقتصادية في تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٥م، ١٣٩٥هـ، ص ٨.

⁴¹ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٣٦.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السلسي، ج ١، ص ١٩٧.

⁴² المعريزي: للمواظ والاعتبار، ج ١، ص ٧٩.

ويذكر الكندي حول هذا الشأن ويقول: لم يرض صمر بن الخطيب عن الفزاج الذي جبهه عمرو بن العاص لظن فيه الخفون، وأرسل ابن مسلمة ليقامه ماله، ثم عزله سنة ٢٢هـ، أي قبل وفاته بقليل عن ولاية الصعيد، وقدها عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما ولي عثمان الخلافة عزل صمرًا بعد أن ولها أربع سنين وأشهرًا.

الكندي: كتاب الولاية، ص ١٠.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السلسي، ج ١، ص ٢١٢.

⁴³ المعريزي: نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٨.

حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع، ج ١، ص ١٩٧.

⁴⁴ حسن إبراهيم حسن: نفس المرجع، ج ١، ص ١٩٢. حول قصة أرموتمة ابنة المقوقس والآراء التي أتت حول أسر العرب لها، وكرامتها من قبل عمرو وإعادتها إلى أبيها راجع:- بكرت: فتح العرب لمصر، ص ١٩١، هلثس (٣).

⁴⁵ الأرثوذكسية: معناها العقيدة الصحيحة وهي عقيدة معظم أهل مصر وهي تنادي بالطبيعة الواحدة للمسيح Physis، وهي تختلف ما لدى به معظم المسيحيين في هذا الوقت بل أن

للمسوح طبيعتين إلهية وبشرية حيث ينكر د. عبد المنعم ماجد أنهم خلطوا العقيدة المسيحية بالفضة اليونانية.

عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٤٢.

حيث كان يتدأ أصحاب الطبيعتين بأن الله لخلط بين حسي لخلط الماء باللين.

عبد المنعم ماجد: نفس المرجع والصفحة، هامش (٢).

^{٢٧} المقرئى: المواظ والاعتبار، ج ١، ص ١٦٤.

^{٢٨} عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٤٧، ٤٨.

ويضيف د. عبد العزيز سالم حول هذا الموضوع أن العرب تركوا لقطب لحرارا في دينهم وفي ثقافتهم وجعلوا لهم نصيبا وقررا في إدارة بلادهم، ومن مظاهر ذلك أنه كان في الحكومة المركزية في الفسطاط كاتبان قبطيان لإدارة مصر العليا والسفلى وهما تشامبوس وسحاق، بل وكان والى الصعيد قبطيا اسمه بطرس، وكان حاكم مريوط قبطيا اسمه تولفانوس

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٥٨. = ويضيف د. عبد العزيز سالم أن هذه العملة الفضة استمرت إلى عهد لاحقة قد بنيت عدة كنائس وبخاصة في عهد الأمويين مثل كنيسة أبي مقار، وكذلك بنيت كنيسة القديس مرقس بالإسكندرية، وبنيت كذلك لول كنيسة في الفسطاط في ولاية مسلمة بن مخلد* وبنيت كنيسة ماري جرجس، وكنيسة أبي قير لدخل قصر الشمع.

المزيد راجع:- عبد العزيز سالم: نفس المرجع والصفحة.

* مسلمة بن مخلد من أشهر ولاء مصر (٤٧ - ٥٦هـ) في عهد الدولة الأموية، وكان من أهم الولاة الذين طبقوا في حكمهم سياسة تقوم على التسامح اللينى ببناء كنيسة الفسطاط، وهي لول كنيسة بنيت بمدينة الفسطاط في العصر الإسلامى، لو فى مصر الإسلامى وقد نكر عليه بعض الجند هذا الفعل، فأجمع بهم مسلمة وقتل لهم "بئها ليست فى فيروانكم وإنما فى خارجة فى أرضهم" فسكتوا عن ذلك. عبد العزيز سالم: مصر الإسلامىة، ص ٥٢.

^{٢٩} عبد العزيز سالم: نفس المرجع، ص ٥٩.

^{٣٠} حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى، ج ١، ص ١١٧.

^{٣١} ابن نقان: (إبراهيم بن محمد المصرى) ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ - ١٤٠٧م) كتاب الانتصار

لواحدة عقد الأمصار، بولاق ١٢٠٩هـ - ١٨٩١م، نشر فولز، الجزء الرابع، ص ١٦.

^{٣٢} ابن نقان: نفس المصدر والجزء، ص ٢٦.

^{٨٨} للمزيد من التفاصيل حول مدينة الإسكندرية عند الفتح الإسلامي راجع:-

ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٦١. المقرئ: الضبط المقرئ، ج ١، ص ١٤٤ وما يليها.

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ص ٣ وما يليها.

^{٨٩} وصلت الفتح الإسلامية إلى أقصى الجنوب من أرض مصر أيضاً حيث سلكة النوبة المسيحية، وكانت هذه المملكة قد وقعت في طريق الفاتحين لو المهلمرين منهم، وتمكن المسلمون من إخضاع مباحي النوبة، بل وعتوا معهم صلحاً. وقد تضمن هذا الصلح معاهدة اقتصادية بين الطرفين تنص على تبادل اقتصادي وتجاري كبير بين الطرفين. = وكان هذا في أثناء ولاية عمرو بن العاص لمصر. للمزيد حول هذه المعاهدة وشروطها راجع:-

البلاطري: فتوح البلدان، ص ٢٦٠.

الكندي: كتاب الولاية والقضاء، ص ١٢، ١٣.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج ٢، ص ١٦٥.

Stanley Lane Poole: History of Egypt in the Middle Ages, London 1892, PP20 – 21.

^{٩٠} البلاطري: فتوح البلدان، ص ٢٤٤.

^{٩١} ابن عبد الحكم: فتوح مصر، القاهرة ١٩٦١م، ص ١٠٧.

المقرئ: المراعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٦٤.

عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص ١٦.

حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج ١، ص ١٩٤.

^{٩٢} عبد العزيز سالم: نص المرجع، ص ٢١.

^{٩٣} البلاطري: فتوح البلدان، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

^{٩٤} البلاطري: المصدر السابق، ص ٢٤٥.

^{٩٥} حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج ١، ص ٢١٢.

^{٩٦} ابن عبد الحكم: فتوح مصر، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٧٤، ٧٢.

البلاطري: فتوح البلدان، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

الكندي: الولاية والقضاء، ص ٩ وما يليها.

بنار: فتح العرب لمصر، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السلسلي، م ١٠، ص ١٩٦، ١٩٥.

Lane – poole: A history of Egypt in the middle Ages, london 1936
p11.

^{١٧} عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية ص ١٩٠، ٢٠.

^{١٨} التلقندي: صبحي الأعشى، ج ٩، ص ٣١٤.

بنكر: فتح العرب لمصر، ص ٣٨٣.

^{١٩} ابن عبد الحكيم: فتوح مصر، للقاهرة، ١٩١٤م، ص ٨٧.

جمال الدين الشبل: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، بدون تاريخ، ج ١، ص ٥٩.

بنكر: فتح العرب لمصر، ص ٣٨٢ = ويذكر بنكر أن عهد الأمان جاء فيه أن البطريق أنما
على نفسه وعلى القبط الذين يلرض مصر والذين في مواها لا ينقلهم لذي ولا تعقر لهم
ذمة.

بنكر: نفس المرجع، ص ٣٨٢، هامش (٣).

^{٢٠} البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٥.

حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السلسلي، ج ١، ص ١٩٦.

^{٢١} بنكر: المرجع السابق، ص ٣٨٧.

^{٢٢} جمال الدين الشبل: تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، ص ٦٥.

^{٢٣} سير توماس لورولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين،

إسماعيل النحراري، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٩٣، ٩٤.

الشبل: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٦٥.

^{٢٤} أحمد أمين: لجزر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م ص ٣٠٠.

^{٢٥} المقرئ: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٨٢.

يذكر د. الشبل أن القرن الثالث الهجري (الفتح المبلادي) هو قرن الامتزاج ما بين العرب
والمصريين ففي هذا القرن انتشر العرب في القرى المصرية واشتغلوا بالزراعة، وتزوجوا
من المصريات ولذلك حدث امتزاج حقيقي ما بين الشعبين.

الشبل: تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، ص ٦٣.

^{٢٦} يذكر د. عبد العزيز سالم أن الفتح العربي عمل على إحياء اللغة القبطية على حساب اللغة
اليونانية، بما يعني أن أقباط مصر لم يجبروا على التحول إلى اللغة العربية على حساب
لغتهم القبطية.

- عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٥٨.
- ^{٣٧} جمال الدين الشبل: نفس المرجع، ج ١، ص ٦٢.
- بتر: المرجع السابق، ص ٤٢٤.
- ^{٣٨} الكندي: الولاية والقضاء، ص ٢٤٩.
- الشبل: نفس المرجع، ج ١، ص ٦٢.
- ^{٣٩} الكندي: الولاية والقضاء، ص ٧٢، ٧٤.
- المقرئى: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٧٩.
- عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٥٥.
- جمال الدين الشبل: تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، ص ٥٩.
- ^{٤٠} للمزيد حول ثورات القبط وأسبابها وتصرف الولاة حيالها راجع:-
- المقرئى: نفس المصدر، ج ١، ص ٧٩.
- عبد العزيز سالم: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٤٤ وما يليها.
- ^{٤١} حسن أحمد محمود: تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، ص ١٠٠.
- لولا: قائمة المصادر والمراجع :-
- (١) البلاترى: (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي) ٢٧٩هـ - ٨٩٢م
فتوح البلدان، تحقيق طه عبد الزوف سعد، صرر أحمد عطوة، الإسكندرية، دار
بن خلدون، بدون تاريخ.
- (٢) ابن نفلان: (إبراهيم بن محمد المصري) ٨٠٩هـ - (١٤٠٦ - ١٤٠٧م).
كتاب الاتصال بواسطة عقد الأمصار، الجزء الرابع، نشر هولوز، ١٣٠٩هـ،
١٨٩٢م.
- (٣) الطبرى: (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) (٢٢٤ - ٣١٠هـ) - (٨٢٨ - ٩٢٢م).
تاريخ الأمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبرى، المجلد الثاني، دار الكتب
العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٤) ابن عبد الحكم: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي)
(١٨٧ - ٢٥٧هـ) - (٨٠٢ - ٨١٧م)
فتوح مصر والمغرب والأندلس، تحقيق الأستاذ/ عبد المنعم عسر،
القاهرة ١٩١٤م، ١٩٦١م.

- (٥) القلقندى: (أبو العباس أحمد) ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م.
صبح الأضنى فى صناعة الإنشاء، لقاهرة، ١٩١٣ - ١٩١٩ م، الجزء الرابع.
(٦) الكندى: (أبو عسر محمد بن يوسف) ٣٥٠ هـ - ٩٦١ م.
كتاب الولاية والتضامن، تحقيق روفن جست، لبنان، بيروت، ١٩٠٨ م، ١٣٢٦ هـ.
(٧) المقرئى: (تقى الدين أبى العباس أحمد أحمد بن على المقرئى) ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م.
كتاب المواعظ والاعتبار بنكر الخطط والآثر، المعروف بالخطط المقرئية،
للهيئة العامة لتصور الثقافة، النسخة (٥١)، الجزء الأول، رقم الإيداع ٩٩/٧٨٦٩.
(٨) باقوت: (شهاب الدين أبو عبد الله الصوى الرومى) ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م.
معجم البلدان، الجزء السادس، القاهرة، ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م.
(٩) أبو يوسف: (يحيى بن إبراهيم) ١٩٢ هـ - (٨٠٧ - ٨٠٨ م).
كتاب الفراج، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م.

ثانياً: المراجع الحديثة والمعربة:

- (١٠) لرنولد: (سير/ توماس لرنولد).
الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د/عمن إبراهيم حسن، عبد الحميد حابدين، إسماعيل
النحرولى، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٧٧ هـ، ١٩٥٧ م.
(١١) لسين: (الأستاذ/ أحمد أسين)
نجر الإسلام، للهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠.
(١٢) بيرس: (الأستاذ/ هنرى بيرس)
الشر الأتلمسى فى عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية، وقرئته
التوثيقية، ترجمة د/الطاهر أحمد مكي، دار المشرق، الطبعة الأولى، ذو القعدة
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
(١٣) بيلر: (الدكتور/ الفريد. ج. بيلر)
فتح العرب لمصر، للهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة / محمد فريد أبو حديد،
مكتبة الأسرة ١٩٩٩ م.
(١٤) بل: (الأستاذ/ أندرس بل)
مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، ترجمة د/ محمد عواد حسين، د.
عبد الطيف أحمد على، لقاهرة ١٩٥٤ م.

- (١٥) حسن: (الدكتور/ حسن إبراهيم حسن)
تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي.
الدولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، (١ - ١٣٢ هـ) - (٦٢٢ -
٧٤٩ م) الجزء الأول، دار الجليل، بيروت، ومكتبة النهضة المصرية، القاهرة،
طبعة الثالثة عشر ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- (١٦) سالم: (الدكتور/ السيد عبد العزيز سالم)
تاريخ مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، مؤسسة شبلي الجامعة،
الإسكندرية، ١٩٩٧ م.
- (١٧) >> تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شبلي
الجامعة، ١٩٨٢ م.
- (١٨) >> الإسكندرية، مقال بدائرة معلوف الشعب، العدد ٨٥، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- (١٩) سحر: (الدكتورة/ سحر السيد عبد العزيز سالم)
ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات
الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والعشرون، ١٩٩٩.
- (٢٠) سيدة: (الدكتورة/ سيدة إسماعيل كاشف)
مصر في فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٤٧ م.
- (٢١) سرور: (الدكتور/ محمد جمال الدين سرور)
تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
- (٢٢) الشوبل: (الدكتور/ جمال الدين الشوبل)
تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، الجزء الأول،
دار المعارف، بدون تاريخ.
- (٢٣) صالح: (الدكتور/ محمد أمين صالح)
دراسات اقتصادية في تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- (٢٤) العبادي: (الدكتور/ أحمد مختار العبادي)
في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المعرفة لجامعة الإسكندرية، ١٩٩٩ م.
- (٢٥) عطية: (الدكتور/ عزيز موريل عطية)
الإسكندرية المسيحية، مقال بمجلة النخلة التجارية، الإسكندرية، ١٩٤٩ م، ١٣٦٩ هـ.

(٢٦) ماجد: (الكتور/ عبد المنعم ماجد)

ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، التاريخ الميالى فى مصر، دار الفكر العربى،
الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢٧) محمود: (الكتور/ حسن احمد محمود)

تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة، دار الفكر العربى،
الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

Third: References in foriegin Languages:

(28) Encyclopédie de L'Éslam, Tomo 2.

(29) De Lacy: (O'leary, de Lacy)

The Coptic Churches and Egyptian Monasticism, Oxford, 1941.

(30) Diehl: (ch. Diehl)

Histoire du moyen Âge, Tomo III, Lemondé Oriental, Paris 1936.

(31) Dozy: (Reinhart Dozy)

Supplément aux Dictionnaires arabes, Leyden 1881, Tomol, 2éd.

(32) << Dictionnaire Détaillé des noms des Vetements chez Les Arabes,
Amsterdam, 1845.

(33) Ser Jeant: Material for History of Eslamic Textiles, Arts Islamica,
VoL IX, 1992.

(34) Milne: (G.Grafton Milne)

Ahistory of Egypt under Roman Rule, London 1913 and 1924.

(35) Poole: (Stanley Lane Poole)

History of Egypt in the Middle Ages, London 1892 and 1936.